

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ السيدة أم كلثوم

أيها الإخوة المؤمنون، مع سير الصحابييات الجليلات رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، والصحابية اليوم هي الابنة الثالثة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي أم كلثوم، ولدت هذه الابنة الطاهرة بعد رقية، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها.

نظام الأسرة:

أيها الإخوة - قبل المضي في الحديث عن هذه الابنة الطاهرة يجب أن نعلم هذه الحقيقة، حينما قال الله عز وجل:

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ

(سورة البلد)

نظام الأبوة، ونظام البنوة، أن ينحدر البشر من آباء وأمهات، وأن يودع الله في الآباء رحمة تفوق كل تصور، وأن تكون هذه العلاقة علاقة مدهشة، علاقة الأب بابنه، وعلاقة الأم بابنها، وعلاقة الابن بأبيه، والابن بأمه، هذه العلاقة تعرفنا بالله عز وجل، تعرفنا برحمة الله.

في حياة الإنسان إنسان واحد يتمنى أن يكون خيراً منه، إنه أبوه، لا يوجد أب على وجه الأرض يحسد ابنه، أبداً.. لو كان الأب مستخدماً وابنه وزيراً يفتخر به، الأب الفقير يتمنى أن يكون ابنه غنياً، الأب غير المتعلم يتمنى لابنه أن يكون أعلم العلماء، الأب المستضعف يتمنى أن يكون ابنه أقوى الأقوياء، والأب أحياناً، وفي أغلب الأحيان، وفي بعض الأحيان لا يحتاج إلى ابنه، لنأخذ مثلاً:

أب غني وقوي، ولا يحتاج إلى ابنه إطلاقاً، لا حاجة مادية ولا معنوية، ومع ذلك لا يسعد الأب إلا أن يكون ابنه في بحبوحة، وفي كفاية، وفي سعادة، وفي استقرار، وفي سمعة طيبة، إذاً نظام الأبوة، ونظام البنوة يعرفنا بالله عز وجل.

أيها الإخوة، قلب الأم وحده يعرفك بالله، تتعب لتستريح، تشقى لتسعد، تجوع لتشبع، تعرى لتلبس، الأم أحياناً تحرم نفسها أطيب الطعام، وتطعمه ابنها، إذا كانت رحمة الأمهات هكذا فكيف رحمة خالق الأرض والسموات.

يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ

(سورة آل عمران)

أن تعرف الله، أن تعرف رحمته، أنه خلق الخلق ليسعدهم، خلقهم لجنة عرضها السموات والأرض، إذا ساق لهم بعض الشدائد من أجل أن يعالجهم، لا أنه جعل الحياة الدنيا متعبة هكذا، فيا أيها الإخوة الأكارم:

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ

(سورة البلد)

يعني من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله، نظام الأبوة.

فابنة النبي عليه الصلاة والسلام السيدة فاطمة حينما بُشر بها، بعض الصحابة ما كانوا مرتاحين لهذه

البشارة، فلما نظر إليهم قال عليه الصلاة والسلام:

ريحانة أشمها، وعلى الله رزقها

وهذه السيدة أم كلثوم، هذه أيضاً ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ما الذي يخفف متاعب الحياة؟

الأسرة، أتمنى من كل أخ أن يحكم بناء أسرته، لأنه مهما تكن الحياة قاسية، مهما تكن متعبة، إذا دخل الإنسان إلى

بيته المتماسك، الذي فيه ود، الذي فيه حب، والذي فيه تضحية، والذي فيه مؤثرة، والذي فيه تقدير، إذا دخل إلى

بيته نسي كل متاعب الدنيا، فإذا كان البيت جحيماً، إذا كان البيت مشحوناً بالبغضاء، بالكرهية، بالمنافسة، بازعاج

الطرف الآخر، هذا بيت قطعة من الجحيم، الإنسان يفر من متاعب الحياة إلى بيته، فإذا كان بيته جحيم إلى أين

يذهب؟.

أعجب أشد العجب من إنسان - وهو يستطيع - لا يقيم قيمة للود الزوجي، للود بين أفراد الأسرة، بالابتسامة،

بالسلام، بالدعابة بالهدية بغض البصر، بالمسامحة، تنمو العلاقات، أما بالتدقيق والمعاتبة والانتقاد، والسخرية،

تنمو الأحقاد، وإذا أردت - إن صح التعبير - التصميم الإلهي للأسرة:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ

(سورة الروم)

فإن لم تكن هذه المودة والرحمة بين الزوجين، فالحالة مرضية جداً، وتقتضي المعالجة.

فهذه السيدة أم كلثوم يسميها بعض الخطباء كوكب الإسلام، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمها

خديجة، أم المؤمنين الكبرى رضي الله تعالى عنها، ولدت بعد رقية، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها.

ماذا قال الله عز وجل عن امرأة نوح وامرأة لوط؟ قال:

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ

يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ

(سورة التحريم)

إياك أن تفكر أنهما خانتا زوجيهما خيانة فراش، أبداً، بل خيانة دعوة بالمقابل أسعد شيء للزوج أن تكون

زوجته، وأولاده، وبناته على ولاء له، شيء جميل جداً، يعني أحياناً الزوجة، مع مضي الزمن تُمل، أما إذا كانت

الزوجة لها ولاء تجاه زوجها، لها مشاركة، لها دعم، لها مساندة، هذه ليست زوجة فقط، إنها زوجة وصديقة،

زوجة ورفيقة زوجة وزميلة.

الزوج السعيد هو الذي يستطيع أن يرفع مستوى زوجته إلى مستواه، بحيث يعيش معها كصديقين حميمين، كرفيقين، كزميلين.

لفت نظري أنها أسلمت مع أمها خديجة، سيدنا الرسول عيه الصلاة والسلام ذاق من أهوال الدعوة ما ذاق، لكن زوجته أول من آمن به، وأكبر دعم له، والله وقفت معه كالجبل.

السيدة خديجة رضي الله عنها شيء لا يُصدق، تكاد الدعوة الإسلامية تقوم على جهودها، وعلى دعمها، وعلى صبرها، وعلى صمودها إن صح التعبير،

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة، لم ينس فضل خديجة،

قال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وعرز اللواء عند قبرها

يعني أنت أيتها الزوجة الطاهرة التي ضحت من أجل هذه الدعوة لك نصيب من هذا النصر.

طلاقها من عتبية بن أبي لهب:

إذاً أسلمت مع أمها خديجة وأخواتها، تزوجها عتبية بن أبي لهب قبل البعثة، ولم يدخل عليها، كما أن أخاه عتبة - عتبة وعتيبة - عتبة تزوج رقية، وعتيبة تزوج أم كلثوم، ولم يدخلها عليهما، وكان ذلك بعد البعثة فلما نزل قوله تعالى:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(سورة المسد)

قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رأسكما حرام حتى تطلقا ابنتيه فطلقنا قبل الدخول عليهما.

النبي عليه الصلاة والسلام حينما جعله الله أسوة حسنة، قال تعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

(سورة الأحزاب)

كل شيء ذاقه، حتى تطليق البنات ذاقه، وموت الولد ذاقه، والفقر ذاقه، والغنى ذاقه، والقهر ذاقه، والنصر ذاقه، والهجرة ذاقها والإخراج من بلده ذاقه، ذاق كل شيء، ووقف وقفة كاملة مع كل شيء فاستحق أن يكون سيد الخلق. ولولا أن النبي بشر، تجري عليه كل خصائص البشر، لما كان سيد البشر.

رأسي من رأسكما حرام حتى تطلقا ابنتيه، فطلقنا قبل الدخول عليهما.

أما زوج زينب، دعي الدعوة نفسها لتطليق ابنة محمد فلم يفعل، فلما وقع أسيراً عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم، نظر إليه فقال: والله ما ذمناه صهراً. كان حراً، هناك شخص إمعة، في حياتنا، هناك شخص قراره

بيد والدته، طلق فيطلق، افعل يفعل، اترك يترك، الوالدة على العين والرأس، والوالدة يُحسن إليها بلا حدود،

أما أن تأمر بك بمعصية فتستجيب، فلست حراً،

قالت له: إما أن تكفر بمحمد - أم سيدنا سعد - وإما أن أدع الطعام حتى أموت.

قال: والله يا أم لو أن لك مائة نفس فخرجت واحدةً واحدةً ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت، أو لا تأكلي.

الزوجة لها حق، والأم لها حق، أما أن تتساق مع الزوجة وتنسى حق أمك، شذوذ. أما أن تنسى حق الزوجة وتتساق مع أمك، أيضاً شذوذ. أعط كل ذي حق حقه، أما الأصل في هذا الموضوع:

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

(سورة الإسراء الآية ٢٣)

العبادة لله وحده، والإحسان للوالدين، أما إذا أطعت والدك في معصية فأنت عبدته من دون الله، العبادة لله، والإحسان للوالدين.

طبعاً أم كلثوم رضي الله عنها، ورقية بنتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهتا مصيراً واحداً في سبيل الإسلام.

صحابي جليل اسمه مصعب ابن عمير، كان ابن أسرة غنية جداً، وكان مضرب المثل في أناقته، وثيابه الفاخرة، كان فتى أنيقاً عطراً، فيه غنى ظاهرٌ، فلما أسلم حُرِمَ كل هذا الغنى، حرمه أهله كل شيء، هذا الحرمان وسام شرف.

أقيس على هذه الحادثة، لأن البعثة الإسلامية ظهرت، ولأن الله عز وجل أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(سورة المسد)

طلقنا منهما، وهذا درس لنا، إذا خسرت بسبب دينك، بسبب منهجك بسبب استقامتك، بسبب مبادئك، بسبب أهدافك النبيلة، بسبب هويتك الواضحة خسرت شيء من الدنيا، خسارة هذا الشيء وسام شرف لك. إياك أن تعد هذا خسارة، إياك أن تعد شيئاً فاتك من الدنيا بسبب مبدئك خسارة، بالعكس، افتخر بكل شيء ضاع منك بسبب مبدئك، لأن هذا في ميزان حسناتك يوم القيامة.

هناك نقطة دقيقة جداً سأوضحها لكم: إنسان عنده مطعم يبيع الخمر، تاب إلى الله، أليس الله قادراً من لحظة توبته أن يضاعف له غلته؟ أليس قادراً؟ ما الذي يحدث؟ الغلة تهبط إلى الربع، لماذا؟ ليدفع المؤمن ثمن طاعته، لتكون هذه الخسارة المؤقتة في ميزان حسناته يوم القيامة، أما لمجرد أنه تاب تضاعفت غلته، يتوب آلاف المنحرفين لا حباً بالله، ولا طمعاً بالجنة، ولكن رغبة في مضاعفة الغلة.

سمعت بمطعم في حلب، كتب لوحة: ممنوع شرب الخمر بأمر الرب، والرزق على الله.

دخلت هذا المطعم، الساعة العاشرة، ولا توجد محلات، الغداء الظهر، والمطعم لحم، الساعة الثالثة لا يوجد محلات، الرابعة لا يوجد، الخامسة لا يوجد.. إقبال منقطع النظير.. هذه اللوحة، بدأ يقلده غير المسلمين.. شيء مريح، إذا هذه اللوحة تجلب الزبائن، نضع مئات اللوحات.

فلا بد أن تدفع ثمن طاعتك، كل مؤمن يوم يصطليح مع الله، ويوم يعاهده على الطاعة تنشأ له مشكلات، ضمن الأسرة، من أقرب الناس إليه، من أمه وأبيه، من زوجته، من أولاده أحياناً.. كان من الممكن ألا تكون، لكن هذا المؤمن لا يرقى إلى الله عز وجل، كيف يرقى؟ بدفع هذا الثمن باهظاً، الله عز وجل يريد أن تدفع الثمن، ليكون هذا الثمن في ميزان حسناتك يوم القيامة، فمرحّباً بكل شيء متعب إذا كان في سبيل الله. إذا أخذ طبيب أعلى شهادة، وذاق الأمرين حتى أخذ الشهادة، وسنوات لم ينم الليل، ومنهج فوق طاقة البشر، والأستاذ صعب، قد يكون عنصرياً، وكلفه ما لا يطيق، واصل الليل بالنهار، فإذا نال هذه الشهادة، يشعر بنشوة يصعب أن تصور.

إذا كانت مع رجل دكتوراه فخرية، لا يشعر بشيء، لأنه لم تكلفه شيئاً، احتفال رسمي، ووزعوا.. أما الدكتوراه الحقيقية، دراسة ثمانية عشر عاماً، وكل يوم سهر إلى الساعة الثانية، وتأليف، وأطروحة، وأستاذ صعب، أحياناً يكون الطالب المسلم في بلد غربي له أستاذ غير مسلم، بسبب معين، بسبب عنصري يذيقه الأمرين، ونال الشهادة..

إذا ساق الله عز وجل لرجل بعض الشدائد لأنه مسلم، أما إذا قصر الرجل مع ربه، ارتكب معصية، انحرف، الله أتلّف له ماله، أطلق بصره، الله ساق له زوجة، هذه عقوبات، لا أتحدث عن هذا، أنا أتحدث عن مصيبة كانت بسبب مبدئك، بسبب التزامك، بسبب هويتك مصيبة بهذا السبب، هذا وسام شرف، وهذا ثمن الجنة،

ألا إن سلعة الله غالية

النبي عليه الصلاة والسلام شجبت وجنته، وكُسرَت ثنيتَه في أُحد، وسال الدم من وجهه في الطائف.. أليس الله قادراً على نصره؟ كيف سمح لهؤلاء السفهاء أن ينالوا منه؟ وأن يشتموه، وأن يسخروا منه، وأن يكذبوه، جاءه جبريل: لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال: لا يا أخي، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون..، هذا هو الكمال البشري.

زواجها من سيدنا عثمان:

ثم تزوجها سيدنا عثمان بعد وفاة أختها رقية سنة ثلاث للهجرة، ولم تلد له، وبقيت عنده إلى سنة تسع، حيث توفيت رضي الله عنها في شهر شعبان.

الآن عامة الناس تزوج زوجة ماتت، أخذ أختها ماتت، ماذا يقول الناس: ما هذا؟!.. ماذا قال النبي؟

قال: لو كنَّ عشرًا لزوجتهن عثمان

أرأيت هذا الكمال

وهناك شخص، لديه ظروف مادية صعبة، يقول: قدّم هذه الزوجة شوّم، كلام شياطين، زوجة طاهرة بريئة، ليس لها علاقة، إذا طرأت مشكلة، إذا كان هناك زواج، ثم صار كساد، قدّم الزوجة سيئاً، لا ليس سيئاً، ليس له علاقة، ما دامت الزوجة مستقيمة فهذا الكلام ليس له علاقة.

التطير، التشاؤم، من رقم، من بيت، من يوم، دخل زبون عقد صفقة، دخل صديق طارت الصفقة.. كلام ليس له معنى إطلاقاً، كلام شياطين، ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس، والحقيقة هذه السيدة الجليلة السيدة أم كلثوم عاشت بين أكرم أبوين على الإطلاق.

الحصار ومعاناتها:

عاشت أم كلثوم رضي الله عنها إلى جانب أمها خديجة، التي وقفت موقف الجبال الرواسي وبالمناسبة أيها الإخوة.. الذي عنده ابنة وكان مسلماً، ومؤمناً، وما صدق النبي فهذه مشكلة كبيرة جداً، لأنّ النبي يقول:

من جاءه بنتان فأحسن تربيتهما فأنا كفيله في الجنة.

قالوا: واحدة، قال: واحدة..

ما قولك..

كل بيت فيه بنت، العناية بهذه البنت، والعناية بدينها وبصلاتها وبحجابها، وبعلمها، وبفقهها، وبقرآنها، ثم تزويجها لشاب مؤمن هذا طريق للجنة.

ضمنت الجنة بهذه البنت، فالذي أعجب منه أشد العجب أن يتبرم الزوج إذا بُشر بالأنثى.

لي صديق جاءه سبع بنات، أول بنت لاقت ترحاباً كبيراً، ثاني بنت جاب هدية للأُم ثمينة، لأنها أنجبت بنتاً، البنت الثالثة هدية أثنى، الرابعة أثنى، كلما أنجبت له بنتاً يأتيها بهدية ثمينة، لأنها هدية الله، البنت هدية الله، لا تعرف، أحياناً يأتيك ابن ينسبك الحياة كلها، وتأتي البنت بعطفها، وحنانها، وإخلاصها، وقد يأتيها زوج راق جداً فيصير أقرب لك من ابنك، وكم من زوج أقرب إلى أب الزوجة من ابنه، أنت استسلم، وعد هذا المولود هدية من الله، والهدية اعتن بها كثيراً.

عاشت أم كلثوم إلى جانب أمها خديجة، التي وقفت موقف الجبال الرواسي لتأييد زوجها النبي صلى الله عليه وسلم.

السيدة أم كلثوم ذاقت ألم الحصار،

فالسيدة رقية هاجرت مع زوجها، السيدة زينب بقيت مع زوجها، فهما بنتان ذاقتا الحصار، السيدة فاطمة،

والسيدة أم كلثوم، والله شيء لا يُصدق،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَقَدْ أَخْفَتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤَدِي أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَّتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ
وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِإِلَّالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُؤَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ.

(الترمذي)

شيء يختفي تحت الإبط، كسرة خبز، من شدة الجوع.

ذاقاً مع أمهما بجانب النبي صلى الله عليه وسلم ضيق الحصار، حتى إنهما أكلوا أخشن الطعام، لسد رمق الجوع القاتلة، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين بلا طعام - حتى إن بعض الصحابة أكلوا أوراق الشجر، وهذا حتى يصل الإسلام إليك إلى هنا، أنت متمتع بمساجد مفتوحة، مكيفة، مدفئة، تكبير صوت، لا أحد يضايقك، لا سؤال، ولا جواب، كل بيوت الله مفتحة، الدروس على قدم وساق، هذا الإسلام مدفوع ثمنه، من دفع ثمنه؟ الصحابة الكرام، أنت الآن مستهلك، أنت الآن منتفع، أما الصحابة فقد دفعوا الثمن، ثلاث سنوات أكلوا أوراق الشجر، والكافر هو الكافر لا يتغير، الكفر هو الكفر، والإيمان هو الإيمان، ومعركة الحق والباطل أزلية أبدية.

الطعام الذي يصل إليهم يصلهم سراً - تهرباً - بكميات قليلة جداً، وكان عليه الصلاة والسلام يتولى توزيعه بنفسه بالعدالة، الآن تذهب مساعدات لمنكوبين، الذين يحتاجون لهذه المساعدات لا تصل إليهم، وقد تصل إلى أعدائهم.. فكان عليه الصلاة والسلام يوزع هذا الطعام القليل بنفسه على أصحابه.

أما أسباب الحصار، لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، وأصبح الإسلام يفسو في القبائل اجتمعوا، وائتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا، وتواتقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فذاق النبي المقاطعة الاقتصادية، ذاق ألم الحصار هو وأهله.

أم كلثوم كانت تحت هذا الحصار، نجت أختها زينب، وأختها رقية في الحبشة، وزينب مع زوجها. وقد رق بعض أشرف قريش لآل هاشم، وآل المطلب، كانوا مستضعفين، يقول أحدهم: النبي مجنون، وبنام في بيته أمناً، النبي كان مستضعفاً..

يمر النبي على آل ياسر، وهم يُعذبون، ماذا كان يقول لهم؟ **صبراً آل ياسر...**

الآن كلمة محمد ترتج لها الدنيا، أما حينما بدأ بالدعوة كان ضعيفاً، ولحكمة بالغة بالغية أرادها الله جعله ضعيفاً، لماذا؟ ليكون الإيمان به حقيقياً، لو كان قوياً، وآمنوا به مائة ألف، وتسعة وتسعون ألفاً كاذبون خوفاً أو طمعاً، أما إذا كان ضعيفاً فالإيمان به حقيقي.

أقول لكم هذا دائماً: الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب بقوتهم، والأنبياء بكمالهم، والنبي كان مستضعفاً، وقالوا عنه: مجنون، قالوا عنه: ساحر، قالوا عنه: كذاب، قالوا عنه: كاهن، قالوا عنه: شاعر.. ألقوا عليه التراب.

وفاة والدتها:

وهذه الفتاة الطاهرة الابنة البارة أم كلثوم حزنت كما حزن أبوها في السنة العاشرة للهجرة، هذه السنة سماها المؤرخون عام الحزن، فقد النبي دَعَامَتَيْن، سند داخلي، وسند خارجي، ماتت زوجته خديجة، يُضاف إلى آلامه صلى الله عليه وسلم فقد الزوجة..

سمعت عن رجل له زوجة توفيت، لها أخت تفوقها في العمر حوالي عشرين سنة، كبيرة، في الثامنة والتسعين، وزوجته ممتازة، فاعترض على الله اعتراضاً شديداً، أن هذه أحتاجها، خذ أختها... هذا جهل.

ذاق موت الزوجة صلى الله عليه وسلم، ذاق موت الولد، ذاق تطليق البنات، ذاق الهجرة، ذاق الفقر، قال:

**لَقَدْ أَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْدِي أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ
وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ نُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ.**

(الترمذي عن أنس)

يعني إذا الواحد خاف قليلاً وهو يدعو إلى الله عز وجل له في النبي أسوة حسنة، وهو سيد الخلق، وحبیب الحق..

فهذه السيدة الوالدة، السيدة خديجة ماتت بعد خمس وعشرين عاماً في صحبة النبي عليه الصلاة والسلام، تزوجها في الأربعين، بإضافة خمس وعشرين، ينتج خمس وستون، هو عمره خمسون سنة، تفوقه. إذا تزوج الرجل امرأة، وماتت، وتزوج الثانية، يرضي الثانية، ويذم الأولى، أما النبي عليه الصلاة والسلام فكان وفيّاً لهذه الزوجة وفاء يفوق التصور.

مرة من باب المداعبة

قالت له السيدة عائشة: ألم يبدلك الله خيراً منها

قال: لا والله، لا والله، لا، والله، أقسم ثلاثة أيمان..

السيدة عائشة جميلة جداً، شابة في مُقْتَبِل الحياة، والتي كانت عنده في عمر أمه تقريباً، إذا تزوجت المرأة في الخامسة عشر تنجب ولد أصغر منها بخمسة عشر، معناها في عمر أمه تماماً. بعد أن ماتت هذه السيدة الجلييلة، التي هي السند الداخلي، مات عمه أبو طالب الذي هو السند الخارجي، فالدعم الداخلي انهار، والدعم الخارجي انهار، لذلك سمي كتاب السيرة العام العاشر للهجرة عام الحزن.

وقوفها مع والدها صلى الله عليه وسلم:

لما مات أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبو طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه التراب، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته، والتراب على رأسه،

فقامت أم كلثوم تغسل عنه التراب، وهي تبكي،

فقال عليه الصلاة والسلام: لا تبك يا بنية، إن الله مانع أباك.

ثقته بالله عظيمة جداً، هذا يتجلى في الهجرة، سراقه وراءه، مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، مائة ناقة، الناقة ثمنها يقدر بمائة وخمسين ألفاً، أو بمئتي ألف، ضرب مائة، مليونين، لمن يأتي به حياً أو ميتاً، وسراقه وراءه جاء ليقنتله، ويأخذ الجائزة،

فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: كيف بك يا سراقه إذا لبست سوارى كسرى.

أنت ملاحق، مهودر دمك، ثقة النبي بالنصر شيء لا يصدق، يعني سأصل، وسأنشئ دولة، وسأحارب، وسأتي بكنوز كسرى، وفي عهد سيدنا عمر جاءت كنوز كسرى، وجاء سوار كسرى، وتاج كسرى، وقميص كسرى، أين سراقه؟ جاء سراقه،

سيدنا عمر ألبسه سوارى كسرى وتاجه، وقال: **بَخِ بَخِ، أَعْيْرَابِي مِنْ بَنِي مَدَلَجٍ يَلْبَسُ سَوَارِي كَسْرَى.**

بالمناظر المعاصر الآن دولة في جنوب إفريقيا صغيرة جداً، لا تعرفها على الخريطة، ولا تعرف عاصمتها، والفقر مدقع، ومواطن من مواطنها يجلس في البيت الأبيض مكان صاحبه، أيضاً نفس المقياس..

أَعْيْرَابِي مِنْ بَنِي مَدَلَجٍ يَلْبَسُ سَوَار كَسْرَى.

قال: **يا بنية لا تبك فإن الله مانع أباك..**

وأتمنى على كل مؤمن أن تكون معنوياته عالية، لن يتخلى الله عن المؤمنين أبداً، ولكنه يمتحنهم، لا يتخلى عنهم، بل يمتحنهم.

هجرتها:

طبعاً هاجر النبي كما تعلمون مع صاحبه أبي بكر، وبعد حين أرسل من يأتيه بأم كلثوم، وبفاطمة. ترك النبي عليه الصلاة والسلام أم كلثوم وفاطمة عند زوجته الثانية سودة بنت زمعة التي تزوجها بعد وفاة السيدة خديجة، وبعد أن وصل إلى المدينة، واستقر فيها أرسل بعض أصحابه لاصطحاب أهل بيته من مكة، مع أهل أبي بكر الذين استبقاهم هناك.

أيها الإخوة، حينما وصلت بنات النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم وفاطمة، تصحبهما زوجة النبي عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة، ومعهن بنات أبي بكر الصديق أسماء وعائشة، حتى استقبلهن نساء الأنصار بالحفاوة والترحاب، ويستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه وزوجه بكل شوق وحنان. هذه الفطرة، جمع شمل الأسرة، جاءت الزوجة والبنات الأولى والثانية إلى المدينة.

زواجها:

وهناك رواية لأبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صدق رقية، وعلى مثل صحبتته، وتحل أم كلثوم زوجة كريمة مبجلة عند عثمان بن عفان طبعاً هذا بعد وفاة رقية. إخواننا الكرام، المرأة ما أكرمها إلا كريم، ولا أهانها إلا لئيم، وكان أصحاب النبي مثلاً علياً في تكريم المرأة.

فكانت زوجة كريمة مبجلة عند عثمان بعد أختها رقية، ويحظى عثمان رضي الله عنه بهذا اللقب (ذي النورين)، لأنه تزوج ابنتي رسول الله عليه الصلاة والسلام، حيث كان زوجاً لابنتي رسول الله على التوالي، وقد كان زواجه من أم كلثوم لثلاث سنوات خلون من الهجرة، وعاشت أم كلثوم عند عثمان ست سنوات ولم تلد له، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة تسع للهجرة، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

لو كن عشراً لزوجتهن عثمان.

وفاتها:

ولما وضعت أم كلثوم في قبرها جلس النبي عليه الصلاة والسلام على قبرها وعيناه تدمعان حزناً على ابنته الغالية العزيزة، فرضي الله تعالى عن السيدة الكريمة أم كلثوم، كما قال بعض الخطباء: كوكب الإسلام.

منقول عن: السيرة- سيرة الصحابييات الجليلات - بنات النبي الكريم -السيدة أم كلثوم : سيرة السيدة أم كلثوم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٦-٢٢ | [المصدر](#)